ملخص

فقه السيرة

اعداد &تنسيق : anedan

د/ عمر محمود الحسن

ويشمل ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: حال العرب قبل الإسلام.
- المطلب الثاني: تعريف السيرة النبوية.
- المطلب الثالث: أهمية دراسة السيرة النبوية.

المطلب الأول: حال العرب قبل الإسلام.

الحديث عن العرب قبل الإسلام، يتناول الأحوال التالية: الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والاقتصادية.

- الحالة الدينية:

لما كان العرب ولد إسماعيل؛ فقد توارثوا ملة أبيهم ومنهاجه، الذي ورثه عن أبيه إبراهيم ؛ وفي مقدمة هذه الملة المتوارثة: تعظيم البيت الحرام وتقديسه واحترام شعائره والذود عنه، والقيام بخدمته. فلما امتدت بهم القرون، وطال عليهم الأمد، أخذوا يخلطون الحق بالباطل، ودخل فيهم الشرك، واعتادوا عبادة الأصنام، وتسللت إليهم التقاليد الباطلة والأخلاق الفاحشة، فابتعدوا بذلك عن نور التوحيد، وعن منهج الحنيفية السمحة.

وكان أول من أدخل فيهم الشرك، وحملهم على عبادة الأصنام، عمرو بن لحيّ بن قمعة، جدُّ خزاعة، إلا ما كان من بعض الموحدين، أمثال ورقة بن نوفل وقسّ بن ساعدة، وغيرهما، وهم قلة.

فكانت هناك أصنام لكل قبيلة، مثل: العزّى لقريش وكنانة، واللات لثقيف، ومناة للأوس والخزرج، وهكذا باقي قبائل العرب.

ومن أباطيلهم الدينية:

- أنهم كانوا يخصون للأصنام شيئًا من مآكلهم ومشاربهم، حسبما يبدو لهم، كما يخصونها بشيء من حرثهم وأنعامهم.
- اعتقادهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

-الحالة الاجتماعية:

ثمة أعراف وتقاليد، هيمنت على حياة العرب في الجاهلية، وأصبحت لهم قوانين عرفية معتبرة، منها ما يتعلق بالأحساب والأنساب، ومنها ما يتعلق بالعلاقات القبلية. أبرزها:

أ- الاعتزاز والتفاخر بالأنساب: فقد حرصت القبائل على أنساب أبنائها، فلم يصاهروا غيرهم من الأجناس الأخرى، إلى أن جاء الإسلام، وبين لهم أن أساس التفاضل التقوى والصلاح.

ب- التفاخر بالفصاحة والبلاغة: فكانت تستهويهم الكلمة الفصيحة، والأسلوب البليغ، وكان شعرهم سجل مفاخرهم، وأحسابهم وأنسابهم، وديوان معارفهم وعواطفهم. فقد نشأ فيهم الخطباءُ البارزون، والشعراء المجيدون، وكان البيت من الشعر يرفع القبيلة، والبيت الآخر يخفضها، وكانوا يعتبرون اللحن في الكلام عيبًا.

ج- المرأة في المجتمع الجاهلي: فقد كانت مظلومة، في ظل الأعراف والتقاليد الجاهلية، فقد كانت لا ترث كالرجال، إنما تورث كالمال، كما أنها كانت موضع عار بالنسبة لأهلها؛ لأنها أدنى من أخيها بكثير، فهي: لا تعمل فتأتي بالمال شأن الرجال، ولا تخرج للغزو وتحمي القبيلة من المعتدين.

-الحالة الأخلاقية:

اتسم العرب في جاهليتهم بأخلاق حميدة، وأخرى دريئة.

- الأخلاق الرديئة: وأبرزها: شرب الخمر، والقمار، والتعامل بالربا، وأكل أموال اليتامى، والسرقة، والزنى، وغصب الأموال، والأخذ بالثأر، والغزو، والغارات على بعضهم، وسفك الدماء.
- الأخلاق الحميدة: وقد تمثلت بعدة صفات، أبرزها:
- الكرم: وهي صفة امتاز بها العرب، فكان الواحد منهم لا يكون عنده إلا ناقته، فيأتيه الضيف، فلا يتردد بنحرها. وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الإنسان، بل كان يطعم الوحش والطير، وكرم حاتم الطائي سارت به الركبان، وضربت به الأمثال.
- الشجاعة: فكانوا مضرب المثل في ذلك.
- المروءة والنجدة: فقد كان العرب بفطرتهم أصحاب شهامة ومروءة، فكانوا يأبون أن ينتهز القويُّ الضعيف، أو العاجز أو المرأة أو الشيخ، وكانوا إذا استنجد بهم أحد أنجدوه، ويرون أن من النذالة التخلي عمن لجأ إليهم.

الحالة الاقتصادية:

يغلب على الجزيرة العربية الطابع الصحراوي، وفيها بعض الواحات المنتشرة هنا وهناك، وكان العرب يرعون الإبل والغنم، ويرتحلون من أجلها بحثًا عن الكلأ. وأما الصناعة فكانوا بعيدين عنها في ذلك الوقت، والزراعة كانت لديهم على نطاق ضيق. لكنهم كانوا يمارسون التجارة، بحكم موقعهم الاستراتيجي بين إفريقيا وشرق آسيا، فكان سكان المدن هم أهل التجارة ولا سيما أهل مكة، ذات الموقع المتميز في نفوس العرب، وكانت تجارتهم مع الشام مشهورة. وكانت للعرب أسواق تجارية موسمية مشهورة: كعكاظ، ومجنّة، وذي المجاز، ولم تكن هذه الأسواق للتجارة فحسب، بل كانت أسواقًا للأدب والشعر والخطابة.

المطلب الثاني: تعريف السيرة النبوية:

ليس ثمة تعريف دقيق يشير إليها، فمن عرفها بمفهومها العام، وهو الرسالة، كقول المباركفوري: (إن السيرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - هي في الحقيقة عبارة عن الرسالة التي حملها رسول الله ﷺ إلى المجتمع البشري، قولاً وفعلاً ، وتوجيهًا وسلوكًا!. فهو تعريف للسيرة بمعنى الرسالة والدعوة.

ويمكن أن نعرفها بأنها: الوقائع والأحداث التي تتعلق بحياة النبي ﷺ منذ ولادته إلى وفاته.

المطلب الثالث: أهمية دراسة السيرة النبوية:

ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية السرد التاريخي، إنما الغرض فهم حقيقة السيرة، وأخذ الدروس منها والعبر، بحيث يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية كلها (عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقًا) متجسدة في شخصية النبي ﷺ. فالسيرة هي التطبيق العملي لشريعة الإسلام، متمثلة بشخصية رسول الله ﷺ ومن أبرز هذه الأهداف من دراسة السيرة:

1- فهم شخصية النبي ﷺ من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها، فهو ليس مجرد عبقري - كما يصفه البعض - سمت به عبقريته بين قومه، إنما هو رسول اصطفاه الله وحفظه من أدران الجاهلية وسدده وأيده بالوحي.

2- أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في سائر شؤون حياته، ويتخذ ذلك دستورًا له، كيف لا وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} [الأحزاب: 21].

3- إن في دراسة السيرة النبوية ما يعين المسلم على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيرًا من الآيات تفسرها وتوضحها أحداث السيرة ووقائعها، ولا سيما أن كثيرًا من آيات كتاب الله تعالى كذلك لها أسباب نزول، تتعلق بهذه الوقائع.

4- إن دارس السيرة النبوية، يتكون له أكبر قدر ممكن من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء أكان فيما يتعلق بالعقيدة أو الأحكام أو الأخلاق، إذ أن حياته ج صورة مجسدة نيّرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

5- أن يكون لدى المعلم التربوي، والداعية الإسلامي نموذج حيّ عن طرائق التربية والتعليم والدعوة إلى الله تعالى. فلقد كان ج معلمًا ناصحًا ومربيًا فاضلاً، وداعيًا إلى الله على بصيرة، فعلى نهجه يسير المعلمون والمربون، وبهديه يهتدي الدعاة المخلصون.

6- إن دراسة السيرة عبادة لله تعالى، قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} [الأحزاب: 21]. فنحن مكلفون بالاقتداء برسول الله ﷺ ، ولن نتمكن من الاقتداء والتأسي به ما لم نفقه سيرته وندرسها ونتعرف عليها، وإن كانت السنة النبوية هي ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فأفعال النبي ج تبرز أكثر ما يكون في السيرة النبوية.

فحياته - عليه الصلاة والسلام - تقدم إلينا نماذج سامية للشاب المستقيم في سلوكه الأمين مع قومه وأصحابه، كما تقدم لنا النموذج الرائع للإنسان الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، الباذل منتهى الطاقة في سبيل إبلاغ رسالته، ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحذق وكلمة بالغة، وللزوج المثالي في حسن معاملته، والأب في حنو عاطفته مع تفريق دقيق بين الحقوق والواجبات لكل من الزوجة والأولاد، وللمسلم الجامع في دقة وعدل بين واجب التعبد والتبتل لربه، والمعاشرة الفكهة اللطيفة مع أهله وأصحابه !

وتشمل الأحداث التالية:

- ♣ أولاً: ولادته ﷺ ورضاعه وحادثة شقّ الصدر.
- ♣ ثانيًا: وفاة أمه ﷺ وكفالة جده وعمه له.
- ♣ ثالثًا: رعيه ﷺ للغنم وحفظ الله له.

أولاً: ولادته ج ورضاعه وحادثة شق الصدر:

1- ولادته ﷺ :ولد ج يوم الإثنين بلا خلاف، والأكثرون على أنه لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول. والمجمع عليه أنه ولد عام الفيل. وقد ولد يتيمًا، حيث مات أبوه عبد الله وأمه آمنة بنت وهب حامل به لشهرين.

2- رضاعه ﷺ :كان أول من أرضعه ج ثويبة أَمةُ عمه أبي لهب، أما أم أيمن (بركة الحبشية) فكانت حاضنته.ثم قدمت حليمة السعدية في نسوة من بني سعد بن بكر، يلتمسن الرضعاء بمكة، فعندما يعرض عليهن النبي ج يعرضن عنه، ويقولون: يتيم! وكن يطمعن بإحسان الوالد، وليس له والد. ثم أخذته حليمة قائلة: (فلما لم أجد غيره هرعت إليه، وأخذته، والله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره!

3- حادثة شق الصدر: روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ج وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه.

ثانيًا: وفاة أمه ج وكفالة جده وعمه له:

1- وفاة أم النبي ﷺ وكفالة جده: توفيت آمنة أم النبي ﷺ بالأبواء، ودفنت فيها، عند رجوعها مع ابنها ﷺ من المدينة، وكانت في زيارة لأخواله بني عدي من بني النجار، لتريه إياهم، وكان عمره ج ست سنوات، ثم تولى كفالته جده عبد المطلب، وكان يحبه كثيرًا ويدنيه، وكان يوضع له فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله ﷺ يأتي ليجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلسه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، مسرورًا بذلك.

2- وفاة جده وكفالة عمه ﷺ : لما بلغ النبي ج ثماني سنين مات جده عبد المطلب، وعندما حضرته الوفاة أوصى به عمه أبا طالب، شقيق والده، والذي كان يحبه حبًا جمًا، بل أكثر من أولاده، فلا ينام إلا بجانبه، وإذا خرج يخرج معه، وكان أبو طالب ذا عيال، ولا مال له، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعًا، أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ج شبعوا، فكان إذا أراد أن يُغديهم قال: أنتم، حتى يأتي ولدي! فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم، فكانوا يفضلون من طعامهم. وكان يقول له عمه: إنك لمبارك!

الدروس والمواعظ والعبر:

يمكن الاستفادة من هذا المقطع (من ولادته إلى كفالة عمه أبي طالب) بعض الدروس والمواعظ الهامة، أبرزها:

1- أنه ليس من قبيل الصدفة أن يولد النبي ﷺ يتيمًا، ثم لا يلبث أن يفقد أمه، ثم جده، فينشأ النشأة الأولى من حياته بعيدًا عن تربية الأب ورعايته، محرومًا من عاطفة الأم وحنوها. فلقد اختار الله لنبيه الكريم هذه النشأة الباهرة.

2- بركة النبي ﷺ التي ظهرت على حليمة وأهل بيتها في كل شيء.

3- أن حادثة شق الصدر، التي حصلت للنبي ﷺ أثناء وجوده في مضارب حليمة تعدّ من إرهاصات النبوة، وأن الله تعالى يهيء نبيه ﷺ لأمرٍ عظيمٍ، فلا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله تعالى، فلا يحلّ في قلبه ﷺ إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك، فلم يرتكب إثمًا، ولم يسجد لصنم، برغم انتشار ذلك في مجتمعه.

ثالثًا: رعيه ﷺ للغنم وحفظ الله له:

1- رعيه ﷺ للغنم: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة).

- الدروس والمواعظ والعبر: لرعي الغنم فوائد كثيرة، ودروس عظيمة، أبرزها:

1- أن يحصل للنبي ﷺ التمرّن والتمرس على قيادة الأمة مستقبلاً.

2- أن رعي الغنم يعود الإنسان على بعض الخصال الحميدة، منها:

أ- الصبر.

ب- التواضع.

ت- الشجاعة.

ث- الشفقة والرحمة.

الاعتماد على النفس في الكسب.

2- حفظ الله تعالى لنبيه ج قبل البعثة: لقد حفظ الله تعالى نبيه الكريم ﷺ قبل البعثة، من شرك الجاهلية، وعبادة الأصنام، واللهو والعبث الذي يقع للصبيان، ومن الصور تؤكد ذلك: عندما سأله الراهب بحيرا باللات والعزّى أجابه: (لا تسألني بهما، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط)

- الدروس والمواعظ والعبر:

من هذه الأخبار التي تؤكد حفظ الله تعالى لنبيه الكريم ج منذ صغره وصدر شبابه يتبين لنا ما يلي:

1- أن النبي ج كان متمتعًا بخصائص البشرية كلها، وكان يجد في نفسه من الميولات الفطرية التي جبله الله تعالى عليها ما يجبل كل شاب، فكان يحسّ بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما في ذلك من متعة، وتحدثه نفسه بذلك كعامة الشباب.

2- إن حكمة الله تعالى اقتضت أن تعصم النبي ﷺ من جميع مظاهر الانحراف، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه الله لها، فهي حتى عندما لا يجد لديه الوحي أو الشريعة التي تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصمًا آخر خفيًا يحول بينه وبين ما قد تتطلع إليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته العناية الإلهية لتتميم مكارم الأخلاق وإرساء شريعة الإسلام.

فثمة عناية إلهية، تأخذ بيده ﷺ نحو الأمثل، دون وساطة الأسباب العادية، كوسائل التربية والتوجيه.

3- أن وجود هذه الصفات في الرسول ﷺ بعناية إلهية، وارتباطها ببعثته ﷺ تدلنا على أهمية هذه الأخلاق بالنسبة للداعية، ولذلك فاستقامة الداعية، وحرصه على الصدق والأخلاق الفاضلة مهمان جدًا في إصغاء الناس له، واستجابتهم لدعوته، فلا يجد الحاقد ولا الناقد مغمزًا يغمز به الداعية بشيء سابق من تاريخ حياته.

وتشمل الأحداث التالية:

- ❄ أولاً: رحلته ﷺ مع عمه إلى الشام.
- ❄ ثانياً: شهوده ﷺ حلف الفضول.
- ❄ ثالثاً: تجارته ﷺ بمال خديجة وزواجه منها.
- ❄ رابعاً: اشتراكه ف ﷺ ي بناء الكعبة.

أولاً: رحلته ﷺ مع عمه إلى الشام

لما بلغ ﷺ سن الثانية عشرة، سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام، الذي كان يعزّ عليه مفارقته، قائلاً: (والله لأخرجنّ به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا)، فلما نزلوا بصرى الشام، صنع لهم الراهب بحيراطعامًا على غير عادته، ودعا جميع الركب إليه، وكان قد رأى النبي ﷺ وسحابة تظلله، وعندما نزلوا تحت الشجرة تهصرت أغصانها عليه حتى استظل تحتها! ثم إن الراهب بحيرا جعل يلحظه ﷺ، وينظر إلى أشياء من جسده، وكانت توافق ما عنده في كتبهم، التي تنعت النبي ﷺ، ثم إنه سأله باللات والعزى، فأجابه ج: لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما!

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من رحلته ﷺ مع عمه إلى الشام، واللقاء بالراهب بحيرا من الدروس والعبر ما يلي:

1- أن صفات النبي ﷺ معلومة عند أهل الكتاب، فأقرّ بها الصادقون أمثال بحيرا، وجحدها الجاحدون ظلمًا وعلوًا.

2- أن عداوة اليهود للإسلام ورسوله قديمة، ولهذا حذَّر بحيرا أبا طالب من أن يدرك هؤلاء النبي ﷺ فيكيدوا له كيدًا، ويؤكد هذا عداوتهم للنبي ﷺ وغدرهم به أجمعين.

ثانياً: شهوده ﷺ حلف الفضول:

الحلف في الأصل: اليمين والعهد، وسمي العهد حلفًا لأنهم يحلفون عند عقده.

وأول من دعا إلى حلف الفضول الزبير بن عبد المطلب، عم الرسول ﷺ، فاجتمع إليه بنو هاشم، وزهرة، وبنو أسد بن عبد العزى، وذلك في دار عبد الله بن جدعان، وتعاقد وتعاهد هؤلاء على أن يكونوا يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يردوا له حقه؛ لأن معنى الفضول: ما يؤخذ ظلمًا، ولقد شهد النبي ﷺ هذا الحلف قبل البعثة، وأثنى عليه بعدها قائلاً: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت)

الدروس والمواعظ والعبر:

من حضوره ﷺ لحلف الفضول قبل البعثة، وإقراره له بعد البعثة، على أنه من المعاني التي يدعو إليها الإسلام نستخلص:

1- أن العدل قيمة مطلقة، وليست نسبية، وإن الرسول ﷺ يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل، والقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية.

2- أن الظلم مرفوض بأي صورة، ويجب دفعه، حتى لو وقع على أقل الناس؛ لأن الإسلام يحارب الظلم، ويقف إلى جانب المظلوم، دون النظر إلى لونه ودينه ووطنه وجنسه.

3- جواز التحالف على فعل الخير، وهو من قبيل التعاون المأمور به في القرآن، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى .....)

- ثالثاً: تجارته ﷺ بمال خديجة وزواجه منها:

1- تجارته ﷺ بمالها: كانت خديجة بنت خوليد امرأةً تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ج منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

2- زواجه ﷺ من السيدة خديجة: نستخلص من زواجه ﷺ السيدة خديجة رضي الله عنها من الدروس والعبر ما يلي:

1. أن في ذلك درسًا لكل مسلمة داعية، وهو أن تعرف من تختار ليكون زوجًا لها، وعلى من توافق ليكون شريك حياتها؛ لقوله ﷺ : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض).
2. ملاحظة عدم اهتمام النبي ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتمًا بذلك كبقية أقرانه من الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنًا، أو بمن ليست أكبر منه على أقل تقدير. إنما رغب فيها ﷺ لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها، والتي كانت تلقب بالعفيفة الطاهرة.

- رابعا: اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة:

لما بلغ النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة، بعد أن جاءها سيل جارف، صدّع جدرانها، وكانت لا تزال رضمًا، كما بناها إبراهيم ؛، فأرادوا هدمها، ليرفعوها من جديد ويسقفوها. وكانوا قد جزؤوا العمل، وخصّوا كل قبيلة بناحية، واشترك سادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها. وقد شارك النبي ﷺ وعمه العباس في بناء الكعبة وكانا ينقلان الحجارة.

وتنافست القبائل في هذا المضمار، كل يبغي الصدارة والذهاب بفخره، حتى كاد هذا السبق يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، واستفحل الشر بين المشتغلين بالبناء عندما بدؤوا يستعدون لوضع الحجر الأسود في مكانه من أركان الكعبة لولا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي اقترح على المتطاحنين أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل من باب الصفا.

وشاء الله تعالى أن يكون ذلك النبي ﷺ، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، ارتضيناه حكمًا. ثم دعا ﷺ بثوب، ووضع الحجر وسطه، ونادى رؤساء القبائل المتنازعة، فأمسكوا جميعًا بأطراف الثوب، حتى أوصلوا الحجر إلى الكعبة، ثم حمله النبي ﷺ ووضعه في مكانه، وكان عمره ﷺ آنذاك خمسًا وثلاثين سنة.

وعندما أجمعوا على بنائها، أجمعوا أن لا يدخلوا في بنائها إلا الكسب الطيب، فلا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من موضوع بناء الكعبة المشرفة، الدروس والمواعظ التالية:

1. أن عرب الجاهلية كانوا يدركون في حسّهم مفهوم الطيب والخبيث، وأنهم حين يقدمون عليها، إنما يقدمون على إثم، أو على شيء خبيث، ومن أجل ذلك تشريفًا للكعبة - زادها الله شرفًا - حرصوا على أن لا يدخل في بنائها هذا المال الخبيث، الذي هو ثمرة زنا، أو ربا، أو مظلمة لأحد من الناس.
2. أن هذا الرأي الجماعي الذي صدر من زعماء قريش بقوله: (هذا الأمين، ارتضيناه حكمًا) يدل على عظم مكانة النبي ج في نفوس قريش، وما يكنون له من التقدير والاحترام، وأنه كان محبوبًا عند الجميع.
3. مدى حكمة النبي ﷺ في تدبير الأمور، وسياسة القضايا، بين أقوام قلما قامت بينهم خصومة ثم نامت قبل أن تراق فيها الدماء.
4. أما عدد المرات التي بنيت بها الكعبة المشرفة، فقد روي أنه خمس مرات: الأولى: بناها شيث بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم ؛ على القواعد الأولى، والثالثة: حين بنتها قريش، قبل الإسلام بخمسة أعوام، والتي شارك فيها النبي ج، والرابعة: عندما احترقت، سنة (36هـ)، وأعاد بناءها ابن الزبير، وغيّر في بنائها بعض الشيء، حيث أدخل فيها الحِجر، وجعل لها بابًا آخر من جهة الغرب.

الخامسة: حين تولى الخلافة عبد الملك بن مروان، فقام بهدمها، وأعاد بناءها، أما ما زاد ابن الزبير في طوله فأقره، وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه، وسدّ الباب الذي فتحه.

وتشمل الأحداث التالية:

- **أولاً:** بدء الوحي.
- **ثانياً:** الدعوة السرية.
- **ثالثاً:** الجهر بالدعوة.

☺ أولاً: بدء الوحي:

أول ما بدئ به رسول الله ج من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذات العدد، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ من الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق ...)، فرجع بها رسول الله ج يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ل فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت: خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من حديث بدء الوحي ما يلي:

1. أهمية الخلوة في حياة المسلم، فإن لهذه الخلوة التي حُببت إلى قلب رسول الله ج قُبيل البعثة دلالة عظيمة، وتكمن أهميتها فيما يلي:

أ- أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحليًا بالفضائل، قائمًا بألوان العبادات، حتى يجمع إلى ذلك ساعاتٍ من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في مظاهر الكون. وحكمة ذلك أن للنفس البشرية آفات، لا يقطع شرها إلا دواء العزلة عن الناس ومحاسبتها.

ب- تربية محبة الله تعالى في القلب.

2. أن أول الآيات نزولاً (اقرأ) منوّهة بالعلم، وهنا يطرح السؤال التالي: لماذا كان الإعداد النفسي والروحي لرسول الله ج سابقًا لإعلان الشعار الأول للعلم (اقرأ)؟ أليس في ذلك إشعار بأن التربية يجب أن تسبق العلم، وإن العلم إن لم تسر معه الأخلاق جنبًا إلى جنب من أول خطوة، انقلب إلى أداة تدمير وبلاء مستطير على الإنسانية كلها.
3. أن حقيقة الوحي هي الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين، بعقائده وتشريعاته، وهو المدخل الوحيد لسائر الغيبيات التي جاء بها النبي ج، والوحي هو الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده، ويشرّع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذي يبلّغ عن ربه، دون زيادة أو نقصان.
4. يان أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة، فقد كانت السيدة خديجة ل تشدُّ أزره وتهدئ من روعه ج. فعندما رجع إليها يرتجف فؤاده، قالت له مطمئنة: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا! إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم إنها كيف استقبلت الأمر بهدوء وسكينة، دون فزع، وذهبت به ج إلى ورقة بن نوفل، وعرضت عليه الأمر.

☺ ثانياً: الدعوة السّريّة:

بعد انقطاع الوحي فترة، وشعوره ج بالقلق، نزل عليه الوحي هذه المرّة مبشرًا بالرسالة.

فأخذ يدعو ج إلى الإسلام سرًا، فكان أول من أسلم من النساء السيدة خديجة ل، ومن الصبيان علي ا، ومن الرجال أبو بكر بن أبي قحافة ا، وقد أسلم على يديه كل من: عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، ي جميعًا.

وكان هؤلاء إذا أرادوا الصلاة، ذهبوا إلى بعض شعاب مكة، يستخفون من الناس. ثم إن النبي ج جمعهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم، يصلون ويتعبدون الله ، ويتعلمون أحكام الإسلام.

الدروس والمواعظ والعبر:

1- إن حكمة الله اقتضت أن تبدأ الدعوة سرية؛ لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيِّجهم ويُثيرهم عليه، فيئدون الدعوة في مهدها، ولكن ما هو إلا الانتظار، حتى يكون للدعوة مؤيدون وأنصار.

2- أن الأوائل الذين دخلوا في الإسلام، كان معظمهم خليطًا من الفقراء والضعفاء والأرقاء.

3- بيان فضل أبي بكر الصديق ا، الذي أسلم على يديه في هذه الفترة معظم العشرة المبشرين بالجنة، وهي دعوة فردية، يغفل عنها كثير من الناس، والتي يمكن أن يقوم بها الكبير والصغير، والرجل والمرأة، ويمكن أن تتم في كل مكان، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفق واللين.

☺ ثالثاً: الجهر بالدعوة:

ثم دخل الناس في الإسلام، أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتُحدّث به، ثم إن الله لأ أمر رسوله ج أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي في الناس بأمره، ويدعو إليه، وكان مدة ما أخفى رسول الله ج أمره واستسرّ به، إلى أن أمره الله بإظهاره ثلاث سنين.

فلما بادى رسول الله ج قومه بالإسلام، وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه، وأجمعوا خلافه وعداوته ج، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون.

وعن أبي هريرة ا قال: قام رسول الله ج حين أنزل الله: {وأنذر عشيرتك الأقربين} قال: يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله ج ، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمةُ بنت محمد ج، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا #

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من موضوع الجهر بالدعوة، الدروس والمواعظ التالية:

1- أن هذه الصيحة العالية من النبي ج هي غاية البلاغ، فقد فاصل عليه الصلاة والسلام قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الإلهي.

أن في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} إلماحًا إلى درجات المسؤولية، التي تتعلق بكل مسلم عمومًا وأصحاب الدعوة خصوصًا، فأدنى درجة في المسؤولية، هي مسؤولية الشخص عن نفسه، وعن أهله ومن يلوذون به من ذوي القربى وهكذا...

3. التناقض العجيب في سلوك قريش، بينما كانوا ينعتونه بالصادق الأمين، الذي يرتضيه الجميع، ويؤكد ذلك رضاهم بتحكيمه في خلافهم على وضع الحجر الأسود، قائلين: (هذا الأمين، ارتضيناه حكمًا)، وقولهم له قبيل النطق بالجهر بالدعوة (ما جربنا عليك إلا صدقًا)، فعندما دعاهم إلى الإسلام، كذبوه، وقالوا عنه فيما بعد: ساحر وكاهن ومجنون (حاشاه ج) وما ذلك إلا عين التناقض، ومجانبة المنطق والصواب.

وتشمل الأحداث التالية:

أولاً: موقف قريش من الدعوة بعد الجهر بها.

ثانياً: سياسة المفاوضات.

ثالثاً: سياسة الإيذاء.

أولاً: موقف قريش من الدعوة بعد الجهر بها:

ومضى رسول الله ج على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم كثُر وتفاقهم الأمر بينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ج بينها، وحضّ بعضهم بعضًا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنّا، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفَّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه).فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي: كذا وكذا، للذي كانوا قالوه له، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله ج أنه قد بدا لعمه أمر آخر ، أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ج: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته! فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ج فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُك لشيء أبدًا!

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من هذا الحدث من الدروس والعبر ما يلي:

1- أن قريشًا سالمت النبي ج بداية الأمر، ولم تتعرض له عندما جهر بالدعوة، إلا بعد أن عاب آلهتهم، وسفَّه أحلامهم، فعندها أخذتهم الحميّة والنصرة لآلهتهم، فأجمعوا على عداوته.

2- حكمة الله تعالى التي اقتضت عدم إسلام أبي طالب، وهو الذي أحبّ ابن أخيه حبًا عظيمًا، وعرف صدقه، ودافع عنه، واستمر على مؤازرته له عشر سنين، حتى وافاه الأجل، ومات على ملة عبد المطلب.

3- ثبات النبي ج وعظيم إصراره على الاستمرار بتبليغ دعوة ربه، مهما بلغت الصعوبات، ومهما كانت المغريات.

ثانياً: سياسة المفاوضات:

عندما أدركت قريش إصرار النبي ج على المضي في دعوته، وإصرار عمه أبي طالب على حمايته، لجأت إلى أسلوب المفاوضات. جاءت قريش إلى أبي طالب وقالت له: نعطيك ولداً من أولادنا، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفَّه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل! فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا. وذكر ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة أرسلته قريش إلى النبي ج مفاوضًا.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من سياسة المفاوضات التي لجأت إليها قريش ما يلي:

1- إظهار حقيقة الدعوة الإسلامية، وصدق نبيها ﷺ، وأنها عريّة عن الأغراض والأهداف الدنيوية، كما يزيّف البعض. فلو كان النبي ﷺ يضمر من وراء دعوته الوصول إلى الملك، أو إلى مستوى رفيع من الزعامة أو الغنى لاستجاب لهذه العروض السخية من قبل زعماء قريش، ولكنها الدعوة الصادقة لدين الله تعالى.

2- أن معيشة النبي ﷺ الحياتية، التي ظهرت فيما بعد، كانت مطابقة لكلامه هذا، فلم يعرض عن الزعامة والملك بلسانه، ليصل إليهما خلسةً بسعيه وعمله، بل كان ﷺ بسيطًا في مأكله ومشربه وفي جل شؤونه.

3- إن تتالي الوفود القرشية المفاوضة للنبي ج ولعمه أبي طالب تؤكد مدى خطورة هذه الدعوة في نظر قريش، حتى إنهم على استعداد أن يبذلوا كل شيء، من أجل صرف النبي ﷺ عنها، وبالوقت ذاته تؤكد مدى عنادهم الشديد، بعد أن سمعوا الآيات البينات التي أسرت أفئدتهم، ثم أصروا على دين آبائهم وأجدادهم!

ثالثاً: سياسة الإيذاء والتعذيب:

عندما فشلت قريش في صرف النبي ﷺ عن دعوته، وإقناع عمه أبي طالب بالتخلّي عنه، رغم المفاوضات والإغراءات، لجأت إلى أسلوب الإيذاء والتعذيب، إيذاء النبي ﷺ وتعذيب أصحابه.

1- إيذاؤه ﷺ :

لقد بالغ المشركون في إيذاء النبي ﷺ، وذلك بعد وفاة أبي طالب، فربما اعترضه بعض سفائهم فنثر على رأسه ﷺ التراب بل ناله أشد الأذى ﷺ من أقرب الناس إليه، عمه أبي لهب وزوجته حتى لقبت قريش نبينا ﷺ مذممًا بدلاً من محمد، وهم الذين كانوا ينعتونه قبل دعوته بالصادق الأمين بل قالوا عنه ساحر وكاهن ومجنون ﷺ.

2- تعذيب أصحابه ج:

فقد نالهم شديد من الأذى، حتى جاؤوا يشكون له ج ذلك. فعن خباب بن الأرت ا قال: أتيت النبي ج وهو متوسد بردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه فقال: $ لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشقّ باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه. والله ليتمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله #

الدروس والمواعظ والعبر:

1- أن العبودية لله تعالى تستلزم التكليف، والتكليف يستلزم تحمل المشاقّ، ومجاهدة النفس والأهواء؛ لأن أول صفة للإنسان في الدنيا أنه مكلف، إذ لا معنى للعبودية إن لم يكن ثمة تكليف. وسنة الله تعالى هذه تشمل الجميع، ومنهم الرسل، بل هم أعظم الناس ابتلاءً وامتحانًا، ومنهم نبينا محمد ج، الذي خاطبه ـ بقوله: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} [الأحقاف: 35].

2- أن طريق الدعوة إلى الله تعالى شاقٌّ، فلا بد للداعي من أن يتسلح بالصبر والثبات، من أجل دعوته، وأنَّ أجره على قدر ما يلاقيه من المشاقّ، إذ لو شاء الله لجعل السبيل إلى إقامة المجتمع الإسلامي بعد الإيمان سهلاً معبدًا، ولكن السير في هذه السبيل لا يدل حينئذٍ على شيء من عبودية السالك لله لأ، وعلى أنه قد باع حياته وماله لله لأ

3- أن هذه المشاقّ والصعوبات التي تواجه الداعية، هي نوع من التمحيص، إذ يظهر في ذلك صدق الصادقين وكذب الكاذبين، فلو ترك الناس لدعوى الإسلام، ومحبة الله تعالى على ألسنتهم فقط، لاستوى الصادق والكاذب. ولكن الفتنة والابتلاء هما الميزان، الذي يميز الصادق عن الكاذب.

وتشمل الأحداث التالية:
أولاً: الهجرة إلى الحبشة.
ثانياً: رحلة الإسراء والمعراج.

أولاً: الهجرة إلى الحبشة السنة الخامسة للبعثة

لما رأى رسول الله ج ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانة من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه.
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ج إلى أرض الحبشة، مخافةً للفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.
لكن قريشًا عندما رأت أن أصحاب رسول الله ج قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا دارًا وقرارًا، بعثوا إلى النجاشي برجلين، عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، مُحمَّلين بالهدايا للنجاشي، أملاً في أن يرد المهاجرين إلى مكة.
لما رأى رسول الله ج ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانة من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه.
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ج إلى أرض الحبشة، مخافةً للفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.
لكن قريشًا عندما رأت أن أصحاب رسول الله ج قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا دارًا وقرارًا، بعثوا إلى النجاشي برجلين، عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، مُحمَّلين بالهدايا للنجاشي، أملاً في أن يرد المهاجرين إلى مكة.
فصدقناه وآمنّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا. فعدا علينا قومُنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك... ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من أحداث الهجرة إلى الحبشة الفوائد التالية:

1- أن من أبرز أسباب الهجرة إلى الحبشة، أن النبي ج أراد أن يبحث عن مركز آخر، غير مكة لحماية العقيدة ونشر الدعوة، لا لمجرد نجاة المؤمنين بأنفسهم.
2- أن الملك العادل فيه خير البلاد والعباد، وملاذ الضعفاء من كل البلاد، وهذه الحقيقة أكدها النبي ج بقوله: $ لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد #
3- أن ما جاء به النبي ج من الدين الحنيف، موافق لما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام؛ لأن كلاً منهما من عند الله تعالى، وهو الدين الإسلامي للجميع.
4- أن على المسلم التثبت من الأخبار التي تصل إليه، وألا يتسرع بإصدار الأحكام، ولهذا فإن النجاشي عندما أخبره رسولا قريش بأن هؤلاء المهاجرين خرجوا عن دين قومهم، ولم يدخلوا في دينه، لم يتسرع بإصدار حكم حتى أرسل إليهم وسمع أقوالهم، وبالتالي تكونت لديه الحقيقة الصادقة، من المحافظة على هؤلاء المهاجرين، وردّ رسولي قريش خائبين.

➢ ثانياً: رحلة الإسراء والمعراج:

1- معجزة الإسراء:

بينما كان النبي ج نائمًا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، جاءه جبريل، فذهب به ج إلى المسجد الحرام، وكان البراق ينتظره، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبه النبي ج حتى أتى بيت المقدس، فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ودخل المسجد، ونشر الله له رهطاً من الأنبياء، فيهم إبراهيم وموسى وعيسى، فصلى بهم إمامًا، ثم أتي بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار ج اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة.

2- معجزة المعراج:

فبعد الصلاة بالأنبياء في بيت المقدس، عُرج بالنبي ج إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، وقيل: بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، قال ج: ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج به ج إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، ففتح لهما، وكان فيها ابنا الخالة، عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، ثم السماء الثالثة، وكان فيها يوسف ؛، يقول ج: وقد أعطي شطر الحسن، ثم السماء الرابعة، وكان فيها إدريس ؛، ثم السماء الخامسة، وفيها هارون ؛، ثم السادسة، وكان فيها موسى ؛، وكل منهم يرحب النبي ج ويدعو له بالخير، ثم رقى إلى السماء السابعة، وفيها إبراهيم ؛، وقد أسند ظهره إلى البيت المعمور، الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب به جبريل إلى سدرة المنتهى، وهناك فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، ثم نزل ج إلى موسى ؛، فقال له: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فرجع ج فحطّ عنه خمسًا، ثم ما زال يرجع إلى موسى ؛، ويقول له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، ويرجع إلى ربه، إلى أن استقرت خمس صلوات في اليوم والليلة، فلما جاوز ج نادى منادٍ: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي ثم إنه رجع ج إلى بيت المقدس، حيث البراق، ثم رجع من ليلته إلى مكة المكرمة، وصلى الصبح في بيت أم هانئ ل وأخبرها برحلة الإسراء، فخافت عليه ج، وسألته ألا يخبر قريشًا بذلك؛ لئلا يكذبوه ولكنه أصرّ على ذلك ج، فأخبر الناس ، فعجبوا، وقال له المطعم بن عدي: أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، مصعدًا شهرًا، ومنحدرًا شهرًا، تزعم أنك أتيته في ليلة، واللات والعزّى لا أصدقك. وطلبوا منه ج دلالات على ذلك، عن أوصاف بيت المقدس، وكان قد دخله ليلاً، فأجلى الله له بيت المقدس، ووصفه لهم بابًا بابًا، وأبو بكر ا يقول: صدقت، ومن يومها سمي صديقًا، ثم سألوه عن عيرهم القادمة من الشام، فأخبرهم عن أوصافها وعن موعد وصولها، فكان كما أخبر ج، ومع ذلك قالوا عنه ج ساحر، وارتدّ بعض ضعفاء الإيمان.

الدروس والمواعظ والعبر:

1- إن هذه الرحلة بالنبي ج كانت بروحه وجسده، وعلى هذا جماهير السلف والخلف، ولا يعوّل على من قال: إن الإسراء كان بروحه، أو أنه رؤيا منام.

2- أن هذه الرحلة الإلهية، كانت بمثابة التكريم الإلهي، لنبيه ج، الذي تعرض لمحنٍ عظيمة، منها: إيذاء ثقيف له ج في رحلته إلى الطائف، ووفاة زوجته خديجة ل المؤنس الوحيد له، ووفاة عمه أبي طالب درع الحماية له، فجاءت حادثة الإسراء والمعراج على قدر من رب العالمين، فيعرج به دون الخلائق جميعًا، ويكرمه على صبره وجهاده، ويكلّمه مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه على عوالم الغيب دون الخلق كافة، ويجمعه مع إخوانه الرسل في صعيد واحد، فيكون الإمام والقدوة لهم، وهو خاتمهم وآخرهم ج.

3- يظهر في هذا الحدث فضل أبي بكر الصديق، الذي كان له موقفٌ حاسمٌ إبّان هذا الحدث العظيم، الذي زعزع إيمان الضعفاء، وذلك بقوله للنبي ج وهو يصف المسجد الأقصى: صدقت، وبذلك نال هذا اللقب العظيم (الصّدِّيق).

4- ظهور شجاعة وأمانة النبي ج، وهو يحدث عما حصل له، مبلغًا عن ربه، محدثًا بنعمته، لا يخاف في ذلك لومة لائم، فهذه الشجاعة العالية لم تمنعه من الجهر بذلك، متحديًا نكيرهم واستهزاءهم، ضاربًا بذلك أروع الأمثلة لأمته في الجهر بالحق أمام أهل الباطل، وإن تحزبوا ضد الحق، وجندوا لحربه كل ما في وسعهم.

5- أن اختيار النبي ج اللبن على الخمر، دلالة رمزية على أن الإسلام دين الفطرة، دين ينسجم في عقديته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس فيه مما يتعارض والطبيعة البشرية الأصيلة. وهذا من أهم أسرار انتشاره، وسرعة تقبل الناس له.

6- أن فرضية الصلاة ليلة المعراج بهذه الصورة دون غيرها من الفرائض، دليل على أهميتها، وعلو مكانتها، وذلك لعدة اعتبارات، أهمها:

أ- أنها فرضت في أعلى مكان يصل إليه البشر.

ب- أن هذه الخمس تعدل خمسين صلاة.

ج- أنها فرضت في ليلة عظيمة، ليلة المعراج.

د- أنها فرضت دون واسطة جبريل، بخلاف غيرها من باقي الفرائض.

وتشمل الأحداث التالية:

- أولاً: التخطيط المحكم للهجرة.
- ثانياً: تآمر قريش على النبي ج.
- ثالثاً: قصة سراقة بن مالك.
- رابعاً: الوصول إلى المدينة.

أولاً: التخطيط المحكم للهجرة:

عندما اشتدّ البلاء والإيذاء على المسلمين، أذن النبي ج لأصحابه بالهجرة إلى المدينة قائلاً لهم: $ إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ج: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم.
فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ج ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده، وبدأ يجهز لرحلة الهجرة.تقول عائشة: وصنعنا لهما سُفرةً في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها، فربطت فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله ج وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال.

ثانياً: تآمر قريش على النبي ج:

جمعت قريشاً أربعين شابًا جلدًا قويًا، يحمل كل منهم سيفًا صارمًا، أحاطوا ببيت رسول الله ج، ينتظرون خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه على بطون قريش، فلا يستطيع بنو هاشم محاربة قومهم، ويرضوا بالدية.
أما علي ا، فقد أمره ج أن ينام على فراشه، ويتسجى ببرده، موهمًا المشركين، ثم يردّ الودائع إلى أهلها من كفار قريش، التي كانوا يضعونها عند النبي ج؛ لأمانته، ويلحق برسول الله ج
وعندما كانت عتمة من الليل، والمشركون يحيطون به ج إحاطة السوار بالمعصم، ونفوسهم تتأجج عداوة وحقدًا، خرج رسول الله ج عليهم، وأخذ حفنة من التراب، نثرها على رؤوس هؤلاء الشباب، وهو يقرأ سورة (يس).
وعندما أصبح الصباح، وأدركت قريش فشلها، اقتفت أثر النبي ج، حتى بلغوا الغار (غار ثور)، ولكنهم صرفوا النظر عن دخوله، عندما رأوا حمامتين على بابه، وقد نسج العنكبوت خيوطه، فأيقنوا أنه لم يدخله أحد.

ثالثاً: قصة سراقة بن مالك:

يقول سراقة بن مالك: جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله ج وأبي بكر ديةَ كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.
فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة، إني قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه.
لحق سراقة بالنبي ج وصاحبه ولما قرب منهما ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين، ولم يستطع المسير. يقول سراقة وقد دنا منهما: إن قومك قد جعلوا فيك الدّية، وأخبرتهم أخبارًا ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزّاد والمتاع، فلم يسألاني إلا أن قالا: اخف عنّا.

رابعاً: الوصول إلى المدينة:

وصل خبر هجرة النبي ج إلى المدينة، فصار أهلها يترقبون قدومه ج، فقد روى ابن إسحاق عن رجال من الأنصار قالوا: (لما سمعنا بمخرج رسول الله ج من مكة، وتوقعنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا، ننتظر رسول الله ج، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على

الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ج، جلسنا كما نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ج حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنّا ننتظر قدوم رسول الله ج علينا، فصرخ بأعلى صوته في الأنصار، هذا جدكم قد جاء. قال فخرجنا إلى رسول الله ج وهو في ظلّ نخلة، ومعه أبو بكر ا مثل سنّه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ج قبل ذلك، وازدحم عليه الناس، وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظلّ عن رسول الله ج، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك).

ثم إن رسول الله ج أقام في بني عمرو بن عوف في قباء أربعة أيام، وأسس مسجده، وضع حجرًا في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى حجر رسول الله ج، ثم أخذ الناس في البنيان، وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام.

ثم تابع إلى المدينة، وكلٌ يعرض عليه النزول عنده، ويقول رسول الله ج : خلّوا سبيلها - أي ناقته - فإنها مأمورة. حتى إذا مرّ ببني النجار، أخوال جده، قالوا: يا رسول الله، هلمّ إلى أخوالك، إلى العدد والعُدَّة والمنَعَة، قال ج : خلّوا سبيلها فإنها مأمورة، حتى إذا وصلت مربدًا (مكان يجمع فيه التمر ليجفف) لغلامين يتيمين من بني النجار بركت، فنزل عنها رسول الله ج، فجاء أبو أيوب الأنصاري ا وكان بيته قرب مبرك الناقة، فاحتمل رحل رسول الله ج ووضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ج، وسأل عن المربد، فقيل له: هو لسهل وسهيل، فأرضاهما ج، فاتخذه مسجدًا.

الدروس والمواعظ والعبر:

1- ظهور فضل أبي بكر الصديق اومنزلته العظيمة عند رسول الله ج، وذلك باستبقائه دون غيره من الصحابة كي يكون رفيقه في هذه الرحلة. ولقد استنبط العلماء من ذلك مدى محبة الرسول ج لأبي بكر، وأنه أقرب أصحابه إليه، وأولاهم بالخلافة من بعده، ومما عزّز هذه الدلالة:

أ- استخلافه ج له في الصلاة عند مرضه، وذلك بقوله: $ مروا أبا بكر فليصل بالناس #.

ب- قوله ج: $ لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً #.

ولقد كان أبو بكر ا مثال الصاحب الصادق، المضحّي بروحه من أجل رسول الله ج، فقد سبقه إلى دخول الغار، كي يجعل نفسه فداءً له ج، فيما لو كان فيه سبُعٌ أو حيّة، أو أي مكروه. ولقد جنّد أمواله وأولاده وراعي أغنامه في سبيل خدمة النبي ج، في هذه الرحلة الشاقة.

2- أن التخطيط والأخذ بالأسباب أساس النجاح في الأمور كلها. فمن تأمل حادثة الهجرة أدرك عظيم حكمة النبي ج الباهرة، ومدى الدّقة والاحتراس في الأمور. ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

أ- مجيئه ج إلى بيت أبي بكر وقت الظهيرة، الوقت الذي لا يخرج فيه أحد، لئلا يلفت النظر.

ب- أمر أبا بكر أن يخرج من كان عنده، وعندما قيل له ج إن هم إلا أهله، تكلم بأمر الهجرة، ولم يحدد الاتجاه.

ج- التوجه إلى غار ثور، جنوب مكة، وليس باتجاه المدينة، والمكوث فيه ثلاث ليالٍ، لتنقطع آمال المشركين.

د- سلوكه ج طريق الساحل، وهو غير مألوف؛ ليضلل المشركين.

3-إن في الهجرة منقبة عظيمة لعلي ا الذي نام على فراش النبي ج، معرضًا نفسه للخطر، واثقًا من حفظ الله تعالى ورعايته، فكان مثال الفدائيِّ الصادق، والبطل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو لا يزال في سن الشباب.

4- أن الهجرة قضاء رباني، وتوقيت إلهي، جاء عن طريق الوحي، وذلك بقوله ج: $ فإني قد أذن لي في الخروج #

العهد المدني من السيرة النبوية:

وتشمل الأحداث التالية:

☺ -في بناء المجتمع الجديد في المدينة.
☺ -في غزوة بدر.
☺ -في غزوة أحد.
☺ -في غزوة الخندق (الأحزاب).
☺ -في فتح مكة.
☺ -في غزوة تبوك.
☺ -في وفاة النبي ج.

➢ -في بناء المجتمع الجديد في المدينة.

إن هجرة النبي ج إلى المدينة، تعني بداية حياة جديدة، بعد أن أصبحت المدينة أول دار إسلام على وجه الأرض، وبذلك فإن الأعمال التي بدأها ج كانت بمثابة إيذان بظهور دولة للمسلمين، بإشراف منشئها الأول، الرسول ج.

وتشمل الأحداث التالية:

أولاً: بناء المسجد النبوي الشريف.

ثانياً: المؤاخاة بين المسلمين.

ثالثاً: الدستور المنظم للعلاقات في المدينة.

أولاً: بناء المسجد النبوي الشريف:

قلنا إن ناقة النبي ج بركت في مربد الغلامين اليتيمين من بني النجار، سهل وسهيل، ولقد ساومهما النبي ج على أرض المربد، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله رسول الله ج منهما هبة، حتى ابتاعه منهما.

ثم بدأ ج ببناء المسجد بنفسه، ينقل مع أصحابه اللَّبِن، وهو يقول:

((اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة))

وجعل رسول الله ج عضادتيه الحجارة، وسواريه جذوع النخل، وسقفه جريدها، بعد أن نبش قبور المشركين وسوّاها، وسوّى الخراب، وقطع النخل، وفرش ج أرضه بالرمال والحصباء، وجعل له ثلاثة أبواب.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من مسارعته ج إلى بناء المسجد النبوي الشريف من الفوائد، ما يلي:

1- أن المسجد من أهم الركائز في بناء المجتمع، فما إن وصل النبي ج المدينة واستقرّ فيها حتى شرع في بناء المسجد؛ لما له من أهمية في العبودية، وتحقيق وحدة المسلمين، وتحقيق صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

2- أن المسجد رمز لشمولية الإسلام، ويؤكد ذلك ما يلي:

أ- أن المسجد أنشئ ليكون متعبدًا لصلاة المؤمنين، وذكرهم لله وتسبيحهم له، وتقديسهم إياه بحمده، يدخله كل مسلم، ويقيم فيه صلاته وعبادته، ولا يضارّه أحد ما دام حافظًا لقداسته.

ب- أن المسجد أنشئ ليكون ملتقى رسول الله ج بأصحابه، والوافدين عليه من خارج المدينة، فقد كان ج يستقبل فيه الوفود.

ج- أنشئ ليكون جامعة للعلوم والمعارف، فهو مدرسة يتدارس فيها المؤمنون أفكارهم، وثمرات عقولهم، ومعهدًا يَؤمُّه طلبة العلم من كل صوب؛ ليتفقهوا في الدين، ويرجعوا إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين، داعين إلى الله هادين.

3- ومن الدروس المستفادة في بناء المسجد، التربية بالقدوة العملية، فقد شارك النبي ج أصحابه العمل والبناء، فكان يحمل الحجارة، وينقل اللبن على صدره وكتفيه، ويحفر الأرض بيديه الشريفتين.

4- فضائل المسجد النبوي الشريف، وأبرزها:

أ- أن الصلاة فيه خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام. قال رسول الله ج : $ صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام #

ب- أنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها: فقد روى أبو هريرة اعن النبي ج أنه قال: $ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ج، ومسجد الأقصى #

ج- أن فيه الروضة الشريفة: فقد روى أبو هريرة ا عن النبي ج قال: $ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي #

ثانياً: المؤاخاة بين المسلمين:

فقد آخى ج بين المسلمين عامة، وبين المهاجرين والأنصار خاصة، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه. وقد جعل الرسول ج هذه الأخوة عقدًا نافذًا، لا لفظًا فارغًا، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثلة.

فقد حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين، فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة!! وقدّر المهاجرون هذا البذل الخالص، فما استغلوه، ولا نالوا منه إلا بقدر ما يتوجهون إلى العمل الحرّ الشريف.

ولقد آخى النبي ج بينه وعلي ا، كما آخى بين حمزة وزيد بن حارثة ب، وبين أبي بكر وخارجة بن زهير ب، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ب، وبين أبي عبيدة ابن الجراح وسعد بن معاذ ب، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ب، وهكذا باقي الصحابة، رضوان الله عليهم.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من مؤاخاة النبي ج بين المسلمين من الدروس والعبر ما يلي:

1- أن أخوة الإيمان، هي أساس الارتباط، وإن الولاء لله تعالى، ولرسوله ج، وللمؤمنين.

2- مدى محبة الأنصار الصادقة لإخوانهم المهاجرين، وحسبنا في ذلك أن الله تعالى امتدحهم بقوله: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ....).

3- أن أي دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن أن يتحقق ذلك بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة. وهذا التآخي لا بد أن يكون مسبوقًا بعقيدة، يتم اللقاء عليها والإيمان بها. وهذه هنا هي العقيدة الإسلامية، جعلها رسول الله ج أساس هذا التآخي، والتي تضع الناس كلهم في مصافّ العبودية الخالصة لله تعالى، لا فارق بينهم ولا تفاضل إلا بالتقوى

ثالثاً: الدستور المنظم للعلاقات في المدينة:

قد يظن البعض أن الإسلام دين لا يقبل جوار دين آخر، وأن المسلمين قوم لا يستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط! وهذا خطأ. فعندما جاء النبي ج إلى المدينة، وجد فيها يهودًا

توطنوا، ومشركين مستقرين. فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة الإبعاد، أو المصادرة والخصام، بل قبل عن طيب خاطر وجود اليهود، وعرض عليهم أن يعاهدهم معاهدة الندّ للندّ، على أن لهم دينهم، وله دينه.

ولقد وضع النبي ج وثيقة ومعاهدة بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين اليهود، من خمسة عشرة بنداً، تضمنت الدستور المنظم للحياة في المدينة.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من وضع هذه الوثيقة النقاط التالية:

1- إن هذه الوثيقة كانت بمثابة دستور شامل لمناحي العلاقات في مجتمع المدينة، المسلمين واليهود، وحسبنا في هذا الدستور أن واضعه الرسول ج بوحي من ربه ـ. فقد حدد العلاقات الدينية والاجتماعية والعسكرية في مجتمع المدينة.

2- في هذه الوثيقة ردٌّ على الذين يغمضون أبصارهم وبصائرهم عن الحقيقة، ويزعمون أن الإسلام ليس إلا دينًا قوامُه ما بين الإنسان وربه، وليس له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء! وأنه دين عبادة مجردة، لا دين دولة وتشريعات وقوانين. فهذه الوثيقة خير شاهد، فهي تشريع ودستور، وبناء دولة منذ فجر الإسلام في المدينة فهذه حددت معالم الدولة: أمة واحدة، وإقليم واحد هو المدينة، وسلطة حاكمة يرجع إليه، رسول الله ج، المؤيد بالوحي من عند الله تعالى.

فقد كانت المدينة بداية إقليم الدولة، ونقطة انطلاقها، ثم اتسعت رقعة هذه الدولة لتشمل أقاليم الشرق والغرب.

3- البند (15) يؤكد أن شريعة الله تعالى وحكمه، هو مردُّ الخلافات والخصومات بين المسلمين، وإذا ما رجعوا إلى غير ذلك، آثمون، معرضون أنفسهم للشقاء في الدنيا، وعذاب الله في الآخرة. وما أحرى المسلمين اليوم بالرجوع إلى هذا المصدر التشريعي العظيم، بعد أن حَادَ عنه الكثيرون، وتجاهله المغرضون.

4- إن هذه الصحيفة تدل بوضوح على عظمة النبي ج وسعة عقله وحكمته، في صياغة موادّها، وتحديد علاقات الأطراف بعضها ببعض، فكانت موادّها مترابطة، شاملة، تصح لعلاج أوضاع المدينة آنذاك، كما أعلنت صراحة أن الحريات مصونةٌ، حرية العقيدة، والعبادة، فللمسلمين دينهم، ولليهود دينهم.

تعتبر غزوة بدر من أهم غزوات النبي ج؛ لأنها المعركة الحاسمة الأولى مع مشركي قريش، وسميت بيوم الفرقان، حيث فرق الله تعالى الحق عن الباطل.

وتشمل الأحداث التالية:

- أولاً: أسباب الغزوة.
- ثانياً: تجهُّز قريش للخروج.
- ثالثاً: استشارة النبي ج أصحابه.
- رابعاً: نزول المسلمين في بدر وبناء العريش.
- خامساً:المبارزة وبدء المعركة.
- سادساً:دعاء النبي ج ونزول الملائكة.
- سابعاً:انتهاء المعركة.

أولاً: أسباب الغزوة:

ترامت الأخبار إلى المدينة أن قافلة ضخمة لقريش تهبط من مشارف الشام، عائدة إلى مكة، تحمل لأهلها الثروة الطائلة، ألف بعير مُوقَرةٌ بالأموال، يقودها (أبو سفيان بن حرب) مع رجال لا يزيدون عن ثلاثين أو أربعين. فلما سمع رسول الله ج بذلك، ندب المسلمين إليهم، وقال: $ هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها #. فانتدب الناس، فخفَّ بعضهم وثقُل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنّوا أن رسول الله ج يلقى حربًا. وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم فَرَسان، وسبعون بعيرًا، يتعاقبون عليها، يتعاقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ج وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، يتعاقبون على بعير واحد! واستخلف عبد الله بن أم مكتوم على المدينة وعلى الصلاة.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان، أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك.

ثانياً: تجهيز قريش للخروج:

أرسل أبو سفيان إلى قومه في مكة طلباً للنجدة، فخرجت قريش تريد إنقاذ تجارتها، ولم يتخلف أحد من أشرافها، إلا أن أبا سفيان، غيَّر طريقه المعتاد إلى مكة، وسلك طريق الساحل، ونجا بقافلته، وأرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، فنقيم عليه ثلاثًا، فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضوا. ثم مضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من وادي بدر.

ثالثاً: استشارة النبي ج أصحابه:

وقبل وصوله ج وأصحابه إلى بدر، علم بخروج قريش بعددها وعدتها، تريد القتال، فأخذ يستشير أصحابه، ليرى مدى استعدادهم للقتال، رغم هذه الظروف الصعبة. فقام أبو بكر ا فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب ا فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك. ثم أراد ج الاستيثاق من أمر الأنصار، فأعاد قوله: أشيروا عليَّ أيها الناس، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته

لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. فسُرَّ رسول الله ج بقول سعد، ونشّطه ذلك، ثم قال: $ سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم

رابعاً: نزول المسلمين في بدر وبناء العريش:

وصل المسلمون مياه بدر، ونزلوا بالعدوة الدنيا منها، فقال الحباب بن المنذر بن الجموح: يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ قال: بل الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل. فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب (البئر القديمة)، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ج لقد أشرت بالرأي.

خامساً: المبارزة وبدء المعركة:

خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، ودعا إلى المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة فتيان من الأنصار، لكنه قال: لا حاجة لنا بكم، عندما علم أنهم من الأنصار، ونادوا: يا محمد، أخرج لنا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ج: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فبارز عبيدة - وكان أسنّ القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة إلى صفوف المسلمين.

ثم تزاحف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وبدأت المعركة، وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة، سبع عشرة من رمضان، السنة الثانية للهجرة.

سادساً: دعاء النبي ج ونزول الملائكة:

عدّل رسول الله ج الصفوف، ورجع إلى العريش ومعه أبو بكر ا، ليس معه غيره، ورسول الله ج يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: $اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد. وأبو بكر يقول: يا نبي الله، إن الله منجز لك ما وعدك. فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده.ثم إن رسول الله ج أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل قريشًا بها، ثم قال: شاهت الوجوه، ورماهم بها، وأمر أصحابه فقال: $ شدوا # وكانوا شعارهم: أحد أحد، وما هي إلا ساعات، وكانت الهزيمة الكبرى للمشركين، والنصر لجند الله الموحدين

سابعاً: انتهاء المعركة

انتهت المعركة بهزيمة ساحقة بالنسبة للمشركين، وبفتح مبين بالنسبة للمسلمين، وقد استشهد من المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. أما المشركون، فلقد لحقتهم خسائر فادحة، قتل منهم سبعون، وأسر سبعون، معظمهم من القادة والزعماء والصناديد.ولما انقضت الحرب، أقبل رسول الله ج حتى وقف على القتلى فقال: $ بئس العشيرة كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس # ، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر، وبعد ثلاثة أيام رجع إليهم، فجعل يناديهم بأسمائهم وبأسماء آباهم: $ يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسرُّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا، فقال له عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها! فقال رسول الله ج: والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم #

ثم رجع ج إلى المدينة، ودخلها مظفرًا منصورًا، قد خافه كل عدو بالمدينة وحولها، فأسلم خلق كثير حقيقة، وأسلم المنافقون ظاهرًا. ثم قسَّم ج الأسرى على أصحابه، وأوصى بهم، فكانوا يؤثرونهم على أنفسهم.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من غزوة بدر، الدروس والفوائد التالية:

1- أن الدافع الأصلي لخروج المسلمين مع رسول الله ج لم يكن القتال والحرب، وإنما كان الدافع قصد الاستيلاء على قافلة قريش، القادمة من الشام، بقيادة أبي سفيان، غير أن الله تعالى أراد لعباده غنيمة أكبر، ونصرًا أعظم، وعملاً أشرف، فأبعد عنهم العير التي يطلبونها، وأبدلهم بها نفيرًا لم يكونوا يتوقعونه.

2- إن تعرض المسلمين لقافلة قريش، لا يسمى اعتداءً وأخذًا لأموال الناس بغير حق، إنما هو استعادة لبعض حقوقهم وأموال المهاجرين التي تركوها في مكة.

3- أن النصر حقيقة، هو من عند الله تعالى، فلا هو متحقق بالعدد والعُدّة، ولا حتى بنزول الملائكة.

4- أهمية الدعاء والتضرع لله تعالى، فلقد كان ج يطمئن أصحابه بالنصر، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة من الأرض ويقول: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، ووقع ذلك فعلاً كما أخبر ج.

5- أهمية المواقف في حياة الدعوة الإسلامية، فلقد كان لموقف سعد بن معاذ ا أثر عظيم في مجريات المعركة، حيث أعلن صدق موقف الأنصار مع النبي ج في هذا الظرف الحاسم، وأنهم لن يتخلوا عنه، سواء في المدينة أم خارجها، مما رفع معنويات الصحابة جميعًا، وجعل النبي ج يُسرُّ ويقول: $ سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم # ، فقد اطمأن ج إلى وحدة الصف، وصدق المواقف. فلا عجب أن يقول ج عند وفاة سعد: $ اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ #

وتشمل الأحداث التالية:

- ✓ أولاً: أسباب الغزوة وتجهيز المشركين لها.
- ✓ ثانياً: استعداد المسلمين للغزوة.
- ✓ ثالثاً: تنظيم النبي ج للجيش واستعراضه له.
- ✓ رابعاً: دور المنافقين في المعركة.
- ✓ خامساً: خطة دفاع المسلمين والدعوة إلى المبارزة.
- ✓ سادساً: بدء المعركة ومخالفة الرماة للأوامر.
- ✓ سابعاً: صمود النبي ج وبطولة أصحابه.
- ✓ ثامناً: غزوة حمراء الأسد.

أولاً: أسباب الغزوة وتجهيز المشركين لها:

لما أصيب كفار قريش يوم بدر، ورجعوا إلى مكة منهزمين، ورجع أبو سفيان بالقافلة، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قتل خياركم، فأعيوننا بهذا المال على حربه؛ لعلنا ندرك منه ثأرًا بمن أصاب منا، ففعلوا. حتى اجتمع لحرب رسول الله ج ثلاثة آلاف مقاتل، واستنفروا معهم الشعراء لتحميس الناس، واصطحب أشرافهم معهم النساء، حتى لا يفرّوا من المواجهة. وقد أرسل العباس إلى رسول الله ج رسالة يخبره بذلك.

وسار أبو سفيان بجيش المشركين، حتى وصلوا المدينة، ونزلوا ببطن الوادي من قبل أحد.

ثانياً: استعدادات المسلمين للغزوة:

كما تعلمون وصل الخبر إلى وعرض الأمر على أصحابه، فمنهم من أشار بالتحصن بالمدينة، وأما الشباب الذين فاتتهم بدر، أصروا على الخروج من المدينة وملاقاة العدو. وأخيرًا نزل رسول الله ج إلى رأي هؤلاء، فصلى الجمعة، ووعظ الناس، وذكرهم، وأمرهم بالجدّ والجهاد، ثم انصرف من خطبته وصلاته، فدعا بلأمته (درعه)، فلبسها، ثم أذّن بالناس بالخروج.

ثالثاً: تنظيم النبي ج للجيش واستعراضه له:

بعد صلاة الجمعة، والموعظة، والحث على الثبات، خرج ج من المدينة، واستعمل عليها عبد الله بن أم مكتوم للصلاة بمن بقي من الناس، ثم قسَّم ج جيشه إلى ثلاث كتائب:

1. كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير ا.
2. كتيبة الأوس، وأعطى لواءها أسيد بن حضير ا.
3. كتيبة الخزرج، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر ا.

وكان الجيش مؤلفًا من ألف مقاتل، فيهم مائة دارع، وخمسون فارسًا.ثم استعرض جيشه، فردّ من استصغره ولم يره مطيقًا للقتال.

رابعاً: دور المنافقين في المعركة:

توجه ج قِبَل أحد، قبل طلوع الفجر، حتى إذا كان بمكان يقال له (الشوط) صلى الفجر بأصحابه، وفي هذا الوقت انخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني –وكان قد أشار إلى عدم الخروج للقتال-، ما ندري على ما نقتل أنفسنا! فرجع بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب.

وكادت مؤامرة النفاق أن تنجح في تحقيق هدفها وإفشال المسلمين في لقاء عدوهم، لولا عناية الله تعالى، فقد همت طائفتان: بنو حارثة من الأوس، وبنو سلمة من الخزرج، أن تفشلا وتنسحبا، ولكن الله تعالى تولاهما، فثبتتا بعدما سرى فيهما الاضطراب، وهمتا بالرجوع والانسحاب.

خامساً: خطة دفاع المسلمين والدعوة إلى المبارزة:

بعد تمرد المنافقين وانسحابهم، وصل ج بأصحابه إلى أحد، وهم سبعمائة مقاتل. وهناك انتخب منهم ج فصيلة من الرماة الماهرين، قوامها خمسون مقاتلاً، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير الأنصاري، الأوسي، البدريّ، وأمرهم بالتمركز على ظهر الجبل، الذي عرف فيما بعد بجبل الرماة، وأوصاهم ج بأن يثبتوا في مكانهم مهما كانت النتائج، وأن يحموا ظهور المسلمين إذا جاءهم العدو من الخلف، قائلاً: $ إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)).

- ثم أخذ ج سيفه قائلاً: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانةا فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه. فكان أبو دجانة رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب! فعندما رأى منه ذلك قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

سادساً: بدء المعركة ومخالفة الرماة للأوامر:

تقدم حملة لواء المشركين، فقُتِلوا واحدًا تلو الآخر، والتحم الجيشان، وانهزم المشركون، لا يلوون على شيء، وأخذت نساؤهم يدعون بالويل والثبور بعد فرحهم وضربهم بالدفوف، وتبع المسلمون المشركين، يضعون فيهم السلاح، ويأخذوا الغنائم.

إلا أن الرماة خالفوا تعاليم رسول الله ج، ظانّين أن المعركة قد انتهت، وأن النصر قد تحقق، فغادر معظمهم مكانه، فناداهم أميرهم عبد الله بن جبير: عهد إليَّ النبي ج أن لا تبرحوا، أنسيتم ما قال لكم رسول الله ج؟ قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبنّ من الغنيمة! فنزل أربعون منهم، وبقي عشرة مع أميرهم.

سابعاً: انتهاء المعركة:

فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل من الرماة، فكرّ بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل، فالتفوا من خلف الجبل، وحملوا على من بقي من الرماة، فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير، ثم أحاطوا بالمسلمين، فبينما هم مشغولون بالغنائم والأسر، إذ دخلت عليهم خيول المشركين، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون. فتفرق المسلمون في كل وجه، وتركوا ما أخذوا من الغنائم، وخلّوا من أسروا، وانتقضت صفوفهم. وظهرت شائعة أنه قتل رسول الله ج.

وهكذا انقلب النصر هزيمة على المسلمين، وانهزمت طائفة منهم إلى المدينة.

سابعاً: صمود النبي ج وبطولة أصحابه:

في هذه اللحظات العصيبة، ثبت النبي ج، واستبسل أصحابه رضوان الله عليهم في الدفاع عنه، وفدوه بأرواحهم.وانجلت المعركة عن مقتل سبعين شهيدًا من المسلمين، فيهم حمزة عم رسول الله ج، ومصعب بن عمير، وسعد بن الربيع، وأنس بن النضر وغيرهم، وقد نقل بعض الصحابة قتلاهم إلى المدينة، فأمرهم رسول الله ج بردّهم، فيدفنوا في مضاجعهم بثيابهم وأن لا يغسلوا.

ثامناً: غزوة حمراء الأسد:

سميت غزوة جريًا على ما ذهب إليه علماء السيرة، وهي في الواقع تتمة لغزوة أحد، حيث إنه ج ما إن رجع إلى المدينة مساء الغزوة يوم السبت، وجروح أصحابه تنزف، وبات تلك الليلة، حتى أذّن مؤذنه بالنفير مرة ثانية، ممن شهد أحدًا فقط، وذلك للحاق بالمشركين، الذين عسكروا على بعد أميالٍ من المدينة، فدفع بلوائه المعقود ج إلى علي بن أبي طالب ا، وتوجهوا لملاقاة المشركين وذلك صباح يوم الأحد، وكلهم سمع وطاعة لرسول الله ج. فلما وصلوا حمراء الأسد، وجدوا أن المشركين سمعوا بنفيرهم هذا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فتوجهوا إلى مكة، فأقام هناك ج ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من غزوة أحد، الدروس والفوائد التالية:

1- التزام النبي ج مبدأ التشاور مع أصحابه، إلا أن هذا المبدأ اختلف عما كان عليه في بدر، من النزول على رأي أصحابه، فقد لاحظنا أنه ج لم يشأ أن يرجع عن رأيه في الخروج لملاقاة العدو، بعد أن لبس درعه وأخذ أهبته للقتال.

2- أن للمنافقين دورًا في هذه الغزوة ومشهدًا بارزًا، وقد رأينا كيف انخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أتباعه عن رسول الله ج وأصحابه، متذرعًا بسبب واهٍ وهو: أن النبي ج إنما أخذ برأي الشبان الأغرار، ولم يأخذ برأي أمثاله من الشيوخ أرباب الحجى والأحلام، غير أن السبب الحقيقي، هو أنه لا يريد قتالاً، ولا تعريض نفسه للخطر، وهذه أبرز سمات المنافقين.

3- تلطف النبي ج بأصحابه الرماة، الذين نزلوا وغادروا أماكنهم، دون إذنه ج، فلم يعنّف ولم يوبخ، بل هو صاحب الخلق الرفيع، العفو والصفح.

4- أن مخالفة ولي الأمر سبيل إلى الفوضى والضياع واختلاط الأمور، والفشل أخيرًا، وقد لاحظنا كيف انعكست نتيجة معركة أحد من نصر مؤزر ومحتم إلى هزيمة نكراء، سببه مخالفة الرماة لأمر نبيهم ج وهو أمر هام ينبغي أن يتنبه إليه المسلمون في كل زمان ومكان، وهو أن طاعة الأمير واجبة في غير معصية.

5- ظهور حبّ الصحابة للنبي ج، وتقديم أرواحهم أمامه، كما فعل طلحة بن عبيد الله والأنصار السبعة وغيرهم. وعندما دعاهم للخروج واللحوق بالمشركين ثانية استجابوا دون تردد أو تذمّر.

وتشمل الأحداث التالية:

- ✓ أولاً: أسباب الغزوة.
- ✓ ثانياً: جهاز جيش الأحزاب.
- ✓ ثالثاً: حفر الخندق ومعجزاته.
- ✓ رابعاً: وصول الأحزاب ونقض اليهود للعهد.
- ✓ خامساً:المبارزة.
- ✓ سادساً:انتصار المسلمين دون قتال.
- ✓ سابعاً:غزوة بني قريظة.

أولاً: أسباب الغزوة:

بعد أن خرج يهود بن النضير من المدينة إلى خيبر، خرجوا وهم يحملون أحقادهم على المسلمين، فما إن استقروا بخيبر، حتى أخذوا يرسمون الخطط للانتقام من المسلمين، فاتفقت كلمتهم على التوجه إلى القبائل العربية المختلفة لتحريضها على حرب المسلمين، ولهذا الغرض شكلوا وفدًا وقدموا على قريش في مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ج، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحقّ منه. فلما قالوا ذلك لقريش، سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ج، فاجتمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ج، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

ثانياً: جهاز جيش الأحزاب:

تجهزت قريش ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب. ورأتهم بنو سليم بمرّ الظهران وتبعتهم وهكذا تتبعهم القابل حتى كان جميع القوم الذين وافوا الخندق عشرة آلاف، وهم الأحزاب.

ثالثاً: حفر الخندق ومعجزاته:

لما بلغ النبي ج خبر الأحزاب، جمع الناس وشاورهم في الأمر، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق. فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ج إلى سفح جبل سلع، وكان عددهم ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة ج كعادته ابن أم مكتوم. ولقد شارك المسلمون جميعًا في حفر الخندق، وعمل بيده ج لينشط الناس، ولما رأى ما بهم من النصب والجوع قال متمثلاً بقول عبد الله بن رواحة ا: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة وأنجزوا حفره ببضعة عشر يومًا.ولقد ظهرت في حفر الخندق آيات من أعلام النبوة، منها: البركة في طعام جابر رضي الله عنه.

رابعاً: وصول الأحزاب ونقض اليهود العهد:

لما فرغ رسول الله ج من الخندق، أقبلت قريش، حتى نزلت هي ومن معها بمجتمع الأسيال، بعشرة آلاف مقاتل، وخرج رسول الله ج في ثلاثة آلاف من المسلمين، حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، وعسكروا هناك، والخندق بينهم وبين القوم.

وفي هذه الأثناء –وقد علمت اليهود بمجيء الأحزاب لمقاتلة المسلمين- (بني النضر وبني قريظة) نقضت اليهود عهدها مع النبي ج

خامساً: المبارزة:
لما رأت قريش الخندق قالوا: والله إن هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها، فحاول بعض فرسانهم عبور الخندق، فاقتحم عمرو بن عبد ودّ الخندق، ونادى متحديًا يطلب المبارزة، وعمره تسعون عامًا، فقام علي ا وقال: أنا له يا نبي الله، فأذن له رسول الله ج، وأعطاه سيفه، وعمَّمه، وقال: اللهم أعنه عليه. ثم بارزه وقتله.

سادساً: انتصار المسلمين دون قتال:
وقد تم ذلك بأمرين: الأول: سياسة التخذيل، والثاني: الريح الشديدة الباردة.
1- سياسة التخذيل:
فقد أتى نُعيم بن مسعود الغطفاني، رسول الله ج فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت؟. فقال: رسول الله ج: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وأتى قريشاً وأتى غطفان وثبط من همتهم.
2- الريح الباردة المظلمة:
فقد أرسلها الله تعالى على جيش الأحزاب، فولوا مرتحلين. وهكذا نصر الله تعالى المسلمين دون قتال، وعادت قريش ومن معها يجرون ذيول الخيبة والخسران.

سابعاً: غزوة بني قريظة:
روت عائشة ل قالت: $ لما رجع النبي ج من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل ؛ فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: إلى أين؟ قال: هاهنا. وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ج # ولقد حاصرهم النبي ج خمسًا وعشرين ليلة، وأخيرًا نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان قومه الأوس حلفاء لبني قريظة، فأقبلوا عليه قائلين: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فقال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم! ولما انتهى إلى رسول الله ج قال: قوموا إلى سيدكم. فحكم بقتل الرجال، وتقسيم الأموال وسبي الذراري والنساء، فقال النبي ج: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، أي: سموات، ثم نفذ فيهم الحكم، وكانوا ما بين الستمائة والسبعمائة

الدروس والمواعظ والعبر:
نستخلص من غزوة الأحزاب، الدروس والفوائد التالية:
1- أهمية الاستشارة في كل الأمور، ولا سيما الهامة منها، فلقد كان لها بالغ الأثر في هذه الغزوة.
2- مدى محبة الصحابة للنبي ج، ومحبته لهم. **أما الأولى:** فتجلت بما فعله جابر من ذبحه للشاة، ودعوة النبي ج للطعام، لما رأى من شدة جوعه، فأشفق عليه. **وأما الثانية:** فقد تجلت بدعوة جميع أصحابه لمشاركته في هذه الدعوة، إذ لا يُتصور أن يترك النبي ج أصحابه في غمرة العمل، وهم يتضورون مثله جوعًا، لينفرد مع ثلاثة أو أربعة من أصحابه، يستريحون ويأكلون، وإنه لأشفق على أصحابه من شفقة الأم على أولادها.
3- تعتبر معركة الأحزاب من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، مع أن القتلى من الفريقين، من المؤمنين والكفار يُعدّون على الأصابع، فلم تكن معركة خسائر، بل معركة أعصاب.
4- ثقة النبي ج بنصر الله تعالى، وانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء البلاد، وهذا ما ظهر عندما ضرب الصخرة التي اعترضت أصحابه فلمعت تحت المعول برقةٌ، ثم ضرب الثانية، فلمعت برقةٌ أخرى، ثم ضرب الثالثة، فلمعت برقةٌ ثالثة. وعندما سئل عن ذلك ج قال: أما الأولى، فإن الله فتح عليَّ بها اليمن، وأما الثانية، فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة، فإن الله فتح علي بها المشرق.

وتشمل الأحداث التالية:

- ✓ أولاً: أسباب الغزوة.
- ✓ ثانياً: ندم قريش وإرسال أبي سفيان.
- ✓ ثالثاً: الاستعداد والتوجه إلى مكة.
- ✓ رابعاً: إسلام أبي سفيان ونزع فتيل الحرب.
- ✓ خامساً: دخول النبي ج مكة.
- ✓ سادساً: خطبة النبي ج وإصدار العفو العام.
- ✓ سابعاً: مبايعة أهل مكة على الإسلام.

أولاً: أسباب الغزوة:

كان من شروط صلح الحديبية: أن من أراد أن يدخل في حلف قريش دخل، ومن أراد أن يدخل في حلف محمد ج دخل، فدخل بنو بكر في حلف قريش، ودخلت خزاعة في حلف النبي ج، إلا أن بني بكر اغتنموا فترة الهدنة بين المسلمين وقريش، وغدروا ببني خزاعة، غاروا عليهم ليلاً، على ماء يقال له (الوتير) وقتلوا منهم رجالاً، وقد أعانت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم رجال من قريش. فاعتبر ذلك نقضًا صريحًا للصلح بين المسلمين وقريش. وأسرع عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله ج مستنصرًا، فقال رسول الله ج: $ نُصرت يا عمرو بن سالم #

ثانياً: ندم قريش وإرسال أبي سفيان:

أحسّت قريش - بعد فوات الأوان - أنها أخطأت، فخرج أبو سفيان إلى المدينة، يصلح ما أفسده قومه، محاولاً استمرار الصلح، وإعادة العقد المهدر حرمته. فجاء إلى المدينة ليحتوي الموقف ولكنه رجع إلى مكة خائبًا محذرًا قومه.

ثالثاً: الاستعداد والتوجه إلى مكة:

أمر النبي ج الناس أن يتجهزوا، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة، وقال: $ اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها #. ثم مضى رسول الله ج لسفره، واستخلف على المدينة كلثوم بن حصين الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله ج وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُديد، بين عسفان وأمَج أفطر. ثم مضى رسول الله ج حتى نزل مَرَّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، وقد عُميت الأخبار عن قريش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله ج، ولا يدرون ما هو فاعل، إلا أن العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ج بالجحفة مسلمًا، مهاجرًا بعياله.

رابعاً: إسلام أبي سفيان ونزع فتيل الحرب:

عندما نزل رسول الله ج مرّ الظهران، أمر أصحابه بإيقاد النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار. خرج في تلك الليلة من قريش أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبُدَيْل ابن ورقاء ، يتحسسون الأخبار، فعندما شاهدوا هذه النيران تعجبوا من ذلك. فجاء العباس بأبي سفيان إلى النبي ج وأجاره، وعرض عليه رسول الله ج الإسلام، فأسلم. قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئًا. $ قال: نعم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن #

خامساً: دخول النبي ج مكة:
رجع أبو سفيان يصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. ولقد أمر النبي ج قادة الكتائب، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ولقد أصرّ بعض المشركين على القتال، من جهة دخول خالد بن الوليد، فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش، وأربعة من هذيل، وفرّ الباقون.
ثم دخل النبي ج مكة على ناقته، يقرأ سورة الفتح، وإنه ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح.

سادساً: خطبة النبي ج وإصدار العفو العام:
لما دخل النبي ج مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف سبعًا على راحلته، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها.
ثم قام على باب الكعبة فقال: $ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده .....)).ثم جلس رسول الله ج في المسجد، فقام إليه عليّ بن أبي طالب ا ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك، فقال رسول الله ج: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء، خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم.

سابعاً: مبايعة أهل مكة على الإسلام:
جلس النبي ج يوم الفتح على الصفا، يبايع الناس، فجاءه الكبار والصغار والنساء، يبايعونه على الإسلام، على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

الدروس والمواعظ والعبر:
نستخلص من غزوة فتح مكة، الدروس والفوائد التالية:
1- ظهور المتناقضات بين أخلاق النبوة وأخلاق قريش. أما أخلاق قريش، فهي نقض العهد مع المسلمين عندما أعانت حلفاءها بني بكر وغدروا بحلفاء النبي ج بني خزاعة. وأما أخلاق النبي ج فهي الوفاء بالعهد، فقد أعلن نصرته لحلفائه بني خزاعة قائلاً: $ نُصِرت يا عمرو بن سالم # وقد فعل ذلك ج
2- أن الله تعالى ناصر أوليائه لا محالة.
3- أن عاقبة الشرك وخيمة، وعاقبة الإيمان عظيمة. فلينظر الإنسان إلى موقف أبي سفيان في أحد والخندق، فهو الآمر الناهي، ولا يعلو على صوته صوت أحد، كيف أخذ يستعطف النبي ج في قومه، ويستعطف العباس، فقد كان في موقف لا يحسد عليه، ولكن أعاد اعتباره ج بعد إسلامه $ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن!# وهكذا يعطي الإيمان أصحابَهُ عِزّةً بعد ذلّ.
4- في خطابه ج عند الكعبة المشرفة، وإصداره للعفو العام، تطلع إلى عصر جديد، فقد أعلن ج أن بقايا تلك المآثر الجاهلية، من التفاخر بالآباء والأجداد، والتباهي بالقومية والقبلية والعصبية.

وتشمل الأحداث التالية:

- ✓ أولاً: أهمية الغزوة، وسببها.
- ✓ ثانياً: التجهز للغزوة، وموقف المنافقين.
- ✓ ثالثاً: المتخلفون عن الغزوة.
- ✓ رابعاً: التوجه إلى تبوك، ومعجزات الطريق.
- ✓ خامساً: النزول في تبوك، وعقود الصلح مع الجوار.
- ✓ سادساً: الرجوع إلى المدينة، والتعامل مع المتخلفين والمنافقين.

أولاً: أهمية الغزوة، وسببها:

1- أهمية الغزوة:

كانت غزوة تبوك نظير فتح مكة، في قذف الرُّعب في قلوب الأعداء، ورفع الغشاوة عن عيون كثير من الذين كانوا يعتقدون أن الإسلام سراج يلتهب ثم ينطفئ ، أو سحابة صيف، عن قليل تنقشع. وكانت هذه الغزوة احتكاكًا بأعظم قوة وأكبر دولة في العصر، وكانت عظيمة الشوكة، مرهوبة الجانب في نظر العرب.وكان العرب لا يحلمون بغزو الروم، والزحف إليهم، بل كانوا يخافون أن يغزوهم في عقر دارهم.

2- سبب الغزوة:

يبدو أن الروم لما بلغها انتصار رسول الله ﷺ الساحق على اليهودية والوثنية، وتصفية أمرهما في الجزيرة العربية، شعرت أن حدودها مهددة بخطر دولة الإسلام الفتية، وأن المعركة بينهما لا بد قائمة، ولذلك رأت دولة الروم أن تجهز جيشًا، ينهي وضع هذه الدولة قبل أن يستفحل أمرها، فجهزت جيشًا قوامه أربعون ألف مقاتل، مكونًا من نصارى العرب، الغساسنة وغيرهم، ليزحف إلى الجزيرة العربية، وينهي أسطورة قيام دولة للمسلمين.

ثانياً: التجهُّز للغزوة وموقف المنافقين:

1- التجهز للغزوة:

جدّ رسول الله ج في سفره هذا، وكان ج قلما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها وورّى بغيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه صرَّح بالتوجه إليها ج لثلاثة أمور:

الأول: بُعد الشُّقة، إذ تبعد تبوك عن المدينة سبعمائة كيلومترًا.

الثاني: أنها كانت في زمن عسرة، فقد أصاب الجَدْبُ البلادَ، وطابت الثمار، التي طال انتظارها، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم.

الثالث: كثرة عدد جيش الروم وحلفائهم.

فلهذه الأمور، ولقلة الزاد والراحلة، سميت هذه الغزوة بغزوة العسرة.

ولقد حض النبي ج أهل الغنى على النفقة في سبيل الله؛ لتجهيز هذا الجيش، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان ا نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، جهز عشرة آلاف مقاتل، أنفق عليها عشرة آلاف دينار، غير الإبل والخيل، وهي تسعمائة بعير ومائة فرس. وتسابق الصحابة رضوان الله عليهم في النفقة.

2- موقف المنافقين:

فقد كانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله ج، حتى إن النبي ج بعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرّق عليهم هذا البيت. وكان يقول بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ.

ثالثاً: المتخلفون عن الغزوة:
وهم قسمان: متخلفون بعذر، ومتخلفون بغير عذر.
1- المتخلفون بعذر:
وهؤلاء هم البكاؤون، وهم سبعة نفر، فقد كانوا حريصين على المسير في هذه الغزوة، لكنّ إمكانية الحمل قصرت بهم، فقد جاؤوا يستحملون رسول الله ج، وكانوا أهل حاجة، فاعتذر إليهم رسول الله ج قائلاً: لا أجد ما أحملكم عليه. فرجعوا يبكون أسفًا.
2- المتخلفون بلا عذر:
لما استتبّ أمر رسول الله ج في سفره، وأجمع السير، تخلف عن رسول الله ج نفر من المسلمين أبطأت بهم النّية، من غير شك ولا ارتياب، وكانوا نفر صدق، لا يُتهمون في إسلامهم، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، رضي الله تعالى عنهم، ثم تاب الله عليهم.

رابعاً: التوجه إلى تبوك، ومعجزات الطريق:
تحرك رسول الله ج نحو الشمال، يريد تبوك، بجيش تعداده ثلاثون ألف مقاتل، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع قبله قط. ورغم ما بذله أغنياء الصحابة في تجهيزه، إلا أن الجاهزية لم تكن كاملة، بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والراكب، فربما تعاقب ثمانية عشر رجلاً على بعير واحد، وأكلوا أوراق الأشجار حتى توّرمت شفاههم! واضطروا إلى ذبح البعير - مع الحاجة إليه - ليشربوا ما في كرشه من الماء، ولذلك سمي هذا الجيش بجيش العسرة.
وفي الطريق، اشتدت حاجة الجيش إلى الماء، حتى شكوا إلى رسول الله ج، فدعا الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجاتهم من الماء.

خامساً: النزول في تبوك وعقود الصلح مع الجوار:
لما انتهى رسول الله ج إلى تبوك، عسكر هناك، وهو مستعد للقاء العدو، وقام رسول الله ج فيهم خطيبًا، فخطب خطبة بليغة، أتى بجوامع الكلم، وحضَّ على خير الدنيا والآخرة، وحذر وأنذر وبشر، حتى رفع معنوياتهم وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل، من حيث قلة الزاد والمادة والمؤونة.وأما الرومان وحلفاؤهم، فلما سمعوا بزحف رسول الله ج أخذهم الرّعب، فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد داخل حدودهم، وكان لذلك صدىً عظيمًا لسمعة المسلمين العسكرية، داخل الجزيرة العربية، وفي أرجائها النائية، وسارع أمراء الأمصار إلى رسول الله ج مصالحين، معلنين عن دفع الجزية.

سادساً: الرجوع إلى المدينة، والتعامل مع المتخلفين والمنافقين:
بعد أن حقق الله تعالى لنبيه ج النصر بلا قتال، والغنائم الكثيرة، وخضوع أمراء شمال الجزيرة العربية لأمره بدفع الجزية، توجه قافلاً إلى المدينة.وعند عودته ج قال: $ إن بالمدينة لأقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: نعم، حبسهم العذر #. وعندما أشرف على المدينة قال: هذه طيبة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه. وقد استغرقت رحلته هذه ج خمسين يومًا، أقام منها عشرين يومًا في تبوك، وكانت آخر غزواته ج وبعد وصوله، كان ثمة فئتان من الناس، تعامل معهما ج، كلاً حسب صدقه وإيمانه: المنافقون والمتخلفون.
1- التعامل مع المنافقين:
من أسماء سورة التوبة (الفاضحة)؛ لأنها فضحت أمر المنافقين، فقد ظهرت مواقفهم الرديئة، التي لا تخفى على رسول الله ج، **قبل الغزوة:** بتثبيط الهمم والاعتذار عن المسير، **وبعد الرجوع:** بالاعتذار الكاذب. وكانوا قد بنوا مسجد (الضرار) قبل سفره ج إلى تبوك؛ ليكون مرصدًا للروم،

وللتفريق بين المسلمين، وطلبوا منه ج أن يصلي فيه، ليكتسب صفة رسمية في نظرهم، فاعتذر ج لسفره، ووعدهم خيرًا إذا رجع. وكان هذا الخير عند رجوعه، أن أرسل رجلين من أصحابه إلى ذاك المسجد فحرقاه، تنفيذًا لأمر الله تعالى.وجاؤوا يتوافدون عليه ج - وكانوا نحو بضعة وثمانين رجلاً -، معتذرين عن التخلف، فكان يقبل عذرهم، ويستغفر لهم، ويوكل سرائرهم إلى الله تعالى

2- التعامل مع المتخلفين:

أما النفر الثلاثة (مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك) فاختاروا الصدق، فلم يصطنعوا الأعذار الكاذبة، فأدبهم ج أيما تأديب، وأمر الصحابة ألا يكلموا هؤلاء الثلاثة، وتغيرت لهم الناس، حتى تنكرت لهم الأرض، وضاقت عليهم بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وبلغت بهم الشدة أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من بداية المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة، ثم أنزل الله تعالى توبتهم.

الدروس والمواعظ والعبر:

غزوة تبوك، كغيرها من غزوات النبي ج، مليئة بالدروس والمواعظ، أبرزها:

1- مشروعية التنافس في الخير، فحين دعا رسول الله ج إلى الصدقة والنفقة لتجهيز الجيش، تنافس الصحابة وتسابقوا في ذلك.

2- كشفت الغزوة حقيقة المنافقين، ونزلت سورة براءة، السورة الفاضحة تتحدث عن أمرهم، مما أظهر خطر أمر النفاق والمنافقين على المسلمين في كل عصر، ولقد كانت غزوة تبوك أعظم مادة للدرس القرآني، الذي جاءت به سورة التوبة، تعلن سرائر المنافقين، وتحذر منهم في كل زمان ومكان.

3- أن المرء يثاب بنيته ثواب الفعل، وهذا ما أكده النبي ج أثناء عودته من الغزوة قائلاً: $ إن بالمدينة لأقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: نعم، حبسهم العذر #

4- أن الصدق سفينة النجاة، وهذا ما أدركه كعب وهلال ومرارة، ي، حيث عزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق، وإن عرّضهم ذلك للتعب والمضايقات، وهذا ما عقَّب به المولى لأ على توبة كعب وصاحبيه.

وتشمل الأحداث التالية:

- ✓ أولاً: طلائع التوديع.
- ✓ ثانياً: مرض النبي ج.
- ✓ ثالثاً: اليوم الأخير والاحتضار.
- ✓ رابعاً: حزن الصحابة على فراقه ج.
- ✓ خامساً: أمر سقيفة بني ساعدة.
- ✓ سادساً: التجهيز ودفن الجسد الشريف.

أولاً: طلائع التوديع:

لما تكاملت الدعوة الإسلامية، وانتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، أخذت طلائع التوديع للحياة وللأحياء تطلع من مشاعره ج، وتتضح بعباراته وأفعاله، منها:

- ☜ أنه اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يومًا، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام في غيرها من السنوات.
- ☜ مدارسته لجبريل القرآن مرتين في رمضان السنة العاشرة، وكان في غيرها يدارسه القرآن في رمضان مرة واحدة.
- ☜ قال في حجة الوداع: **$ إني لا أدري، لعلّي لا أراكم بعد عامي هذا #**

فهذه وغيرها، كانت دلالات وعلامات على دنوّ أجله ج، استعدّ فيها للقاء ربه، من الاعتكاف ومراجعة القرآن، وأرشد أصحابه وحذرهم وبشرهم.

ثانياً: مرض النبي ج:

1- في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر (11هـ) وكان يوم الإثنين، شهد رسول الله ج جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في طريقه أخذه صداع في رأسه. وصلى بالناس وهو مريض أحد عشر يومًا.

2- وقبل وفاته بخمسة أيام، يوم الأربعاء، ارتفعت حرارة العلة في بدنه، فاشتدّ به الوجع ج والنبي ج مع شدة المرض، كان يصلي بالناس جميع صلواته، وبدأ يشتد الوجع شيئاً فشيئاً على رسول الله ﷺ.

ثالثاً: اليوم الأخير والاحتضار:

أما اليوم الأخير من حياته ج، فكان يوم الإثنين. ولما ارتفع الضحى، $ دعا النبي ج فاطمة فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها، فسارّها بشيء فضحكت. وعندما سألتها عن ذلك السيدة عائشة ل فبعد وفاته قالت: سارّني النبي ج أن يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت # ثم اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون وفاته ج في بيت السيدة عائشة ل

رابعاً: حزن الصحابة على فراقه ج:

تسرب النبأ الفادح، وأظلمت على المدينة أرجاؤها وآفاقها. قال أنس ا: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ج، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ج حينذاك خطب أبو بكر في الناس: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت.

خامساً: التجهيز ودفن الجسد الشريف:

لما بويع أبو بكر ا، أقبل الناس على جهاز رسول الله ج يوم الثلاثاء، فغسلوه ج من غير أن يجردوه من ثيابه، وكان القائمون بالغسل العباس وعلي والفضل وقثم ابنا العباس، ي. وكان علي ا يغسله وقد أسنده إلى صدره، ويقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا!.

واختلفوا في موضع دفنه ج، فقال بعضهم: ندفنه في مسجده، وقال آخرون: ندفنه مع أصحابه، وقال أبو بكر ا: إني سمعت رسول الله ج يقول: $ ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض #. فرُفع فراش رسول الله ج الذي توفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ج يصلون عليه أرسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان، ولم يؤمَّ الناس على رسول الله ج أحد.

الدروس والمواعظ والعبر:

نستخلص من أحداث مرض ووفاة النبي ج من الدروس والمواعظ ما يلي:

1- ظهور فضل أبي بكر ا، وقد ظهر ذلك من خلال استخلافه ا للصلاة بالناس في مكانه ج وغيرها.

2- أهمية براءة الذمة، فقد عرّض نفسه ج في مرض موته للقصاص قائلاً: $ من كنت جلدت له ظهرًا ، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي، فليستقد منه #

3- النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فقد كان من آخر كلامه ج قوله: $ قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد # فصيغة الحديث تدل على شدة النهي والمبالغة في التحذير من الإقدام على هذا العمل.

4- زهده ج في الحياة الدنيا، حيث توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير!

تم بحمد الله

(فإن أصبت فمن الله وحده ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان)

اسال الله لي ولكم التوفيق والنجاح

اختكم : عنيدان anedan